

الدراسات النقدية في بحوث الإعلام

CRITICAL STUDIES IN MEDIA RESEARCH

د. منير طربي¹، د. سليم معيزة²

¹جامعة العربي التبسي، تبسة، الجزائر، mounir.tabbi@univ-tebessa.dz

²جامعة عمار ثليجي، الأغواط، الجزائر، salim.maiza@yahoo.fr

الملخص

شهدت مناهج البحث في علوم الإعلام والاتصال تطورا وقفزة نوعية، نظرا لتطور وسائل الإعلام والاتصال وتعددتها، ما تجسد في زيادة الإنتاج العلمي وكثرة المؤلفات - نسبيا-، ما أتاح للباحثين في المجال المذكور إنتاج بحوث قيمة ذات جودة وقيمة علمية، إلا أن واقع البحث العلمي في مجال علوم الإعلام والاتصال لا يزال يحتاج لتعزيز وإثراء، لا سيما فيما يخص اعتماد الأسس والقواعد المنهجية السليمة التي تمكن الباحث من تحديد موضوع البحث وضبط إجراءاته المنهجية وعناصر بحثه بدقة، فتحديد الإجراءات المنهجية يكتسي أهمية بالغة؛ على اعتبار أن تحديدها يوضح معالم البحث ومساره، ويجنب الباحث الوقوع في أخطاء وهفوات قد تعصف ببحثه وتهدد جودته، وعلى هذا الأساس يجب على الدراسات النقدية في بحوث الإعلام أن تتبع خطوات علمية سليمة؛ حتى تنجح وتبرر الغاية من وجودها؛ وترتقي بالبحث العلمي في هذا المجال، كون الدراسات النقدية منوط بها تحليل وتمحيص المواد الإعلامية وتحديد مواطن القوة والضعف فيها، وهذا لن يتأتى إلا إذا اعتمد الناقد الإعلامي في تناوله للمضامين الإعلامية على النقد العلمي السوي، في سبيل الوصول إلى نقد حقيقي وبناء.

الكلمات المفتاحية: البحث الإعلامي، المناهج، الإجراءات المنهجية، الدراسات النقدية، جودة البحث الإعلامي.

ABSTRACT

Research methods have witnessed development and a quantum leap in information and communication sciences due to media and communication evolution and multiplicity, which relatively have embodied in increasing scientific production and literature abundance that allowed researchers in aforementioned field to produce valuable research of scientific quality and value, except that scientific research reality in information and communication sciences field still needs enhancement and richness , especially regarded to adopting methodological principles and rules that makes accurately the researcher determine the research topic and control its methodological procedures and elements, because methodological procedures have a huge importance considering that its determinations explains research milestones and its direction. This prevents the researcher make mistakes that could destroy his/her research quality. Based on that, critical studies should criticize media research following correct scientific steps in order to succeed and justify its existence purpose, and promote scientific research in this area. The fact that critical studies are entrusted with analyzing and scrutinizing media research and identifying its strengths and weaknesses, this will only come if media critic relies on scientific criticism in his/her approach to media research or media studies in order to arrive at real and constructive criticism.

Keywords: Scientific research, Methods, Methodological procedures, Critical studies, Media research quality.

1. المقدمة

إن التطور الحاصل على مستوى وسائل الإعلام والاتصال دفع إلى ظهور الحاجة لوجود بحوث إعلامية تتناول الظاهرة الإعلامية كعلاقة الوسائل الإعلامية بالجمهور؛ واتجاهات الجمهور نحو الوسائل الإعلامية وغيرها من المواضيع، إلا أن البحث في علوم الإعلام والاتصال ونظر لتبعية هذه العلوم فيما سبق للعلوم الاجتماعية، كان رهينة لقواعد وضوابط والخطوات المنهجية هذه العلوم لفترة طويلة، حتى بات الباحث في علوم الإعلام والاتصال يقع في كثير من الأحيان في اللبس؛ نظرا لصعوبة تطبيق ما يتعلق ببعض الظواهر في العلوم الاجتماعية على الظاهرة الإعلامية -على الرغم من وجود علاقة-؛ فما يطبق على الظواهر في العلوم الاجتماعية ليس بالضرورة صالح للظواهر الإعلامية؛ فالبحث في علوم الإعلام والاتصال مهما بلغت قوة العلاقة الموجودة بينه وبين البحوث في العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، إلا أن له خصوصياته وخطواته المنهجية الخاصة والتي تختلف في كثير من الأحيان عن العلوم الأخرى؛ وهذا ما تفرضه طبيعة الظاهرة الإعلامية نفسها، ومن أجل إيجاد حل لهذه المشكلة عكف الباحثون والأكاديميون في مجال الإعلام والاتصال في السنوات الأخيرة على التأسيس لمناهج البحث في علوم الإعلام والاتصال؛ لضمان الجودة والدقة في تناول الظاهرة الإعلامية، بعيدا عن مناهج البحث في العلوم الأخرى -نسبيا-؛ الأمر الذي لا يمكن تحقيقه إلى بدراسة الظاهرة الإعلامية وتفسيرها وتحليلها وفق مناهج سليمة، تناسب هذه العلوم ومقتضياتها، وبالتالي ضمان الخروج بنتائج صحيحة غير متضاربة أو متناقضة.

وعلى اعتبار أن الدراسات النقدية في بحوث الإعلام من الدراسات الحديثة، التي تطورت بدورها مع تطور وسائل الإعلام وتعددت أشكالها وأنواعها؛ لم يتفق الباحثون على إيجاد تعريف محدد للنقد الإعلامي؛ لكن ما اتفق عليه هؤلاء هو أن الدراسات النقدية في الإعلام يجب أن ترتكز على أسس علمية؛ تجنب الناقد الوقوع في الأحكام السطحية التي لا تستند على أسس علمية. وتجدر الإشارة إلى أنه على الرغم من توفر الدراسات والبحوث والمؤلفات التي تناولت مناهج البحث في علوم الإعلام والاتصال في السنوات الأخيرة وهي على قدر كبير من التميز، حيث استطاعت الأخذ بيد الباحثين في هذا المجال البحثي، إلا أن المشاكل والعراقيل التي تواجه الباحثين في تناول المواضيع المختلفة تبقى قائمة، وفي هذا الصدد تأتي دراستنا من أجل تسليط الضوء على أهم ما تعانیه البحوث الإعلامية، وواقع الدراسات النقدية في بحوث الإعلام والاتصال.

2. جودة البحث في علوم الإعلام والاتصال

ما يجب الإشارة إليه هنا أن البحث العلمي في علوم الإعلام والاتصال، يرتكز على دراسة الظاهرة الإعلامية، والمشكلات التي يتم تسجيلها في ميدان الاتصال، من أجل إيجاد الحلول والتفسيرات المناسبة وفق منهج علمي مناسب، ويعرف البحث العلمي في علوم الإعلام والاتصال على أنه الطرق المقننة والمنظمة، التي يسلكها الباحث في معالجة أي مشكلة من مشكلات المعرفة، كشافا واختراعا أو تدليلا وبرهانا، من خلال استخدام الأسلوب المناسب، بهدف تحقيق الفهم الدقيق للظواهر، والتنبؤ والسيطرة على الظواهر والأحداث من خلال المعرفة الدقيقة لها، وما يجب الإشارة إليه أيضا هو اتساع مجال البحث في علوم الإعلام والاتصال، وتعدد اهتماماته وتشابكها مع مجالات بحثية أخرى، حيث أنه يقوم وفق خطة منهجية منظمة، من أجل ضمان الدقة والمصداقية وتجنب التحيز في النتائج، التي تشكل حقائق تفيد فهم الواقع، وهذا ما ينطبق

على البحث العلمي في مجال الإعلام والاتصال (ضيف، 2019، 34)، والتي تتنوع في عصرنا الحالي إلى عدة مجالات أهمها: (أوصيف ورقبية، 2013)

1.2 الدراسات التي تُعنى بالجوانب الاجتماعية والثقافية لوسائل الإعلام والاتصال: ويتم في هذا المجال دراسة ومعالجة تأثير وأدوار وسائل الإتصال الجماهيرية الكبرى، على غرار الإذاعة والتلفزيون والصحافة المكتوبة والسنيماء، وكذا يتناول بالدراسة والتحليل والبحث الوسائط التكنولوجية الجديدة نسبياً، مثل الحاسوب وشبكة الأنترنت وغيرها من الوسائل ذات التقنية العالية، ويتركز اهتمام الباحثين المشتغلين في هذا المجال، بالاستخدامات والإشباع الفردية للمتلقين، وكذا الأثر الذي يخلقه هذا التناول على آرائهم وأفكارهم وأساليبهم الاجتماعية والثقافية والفكرية، وهذه البحوث هي ما يندرج في إطار ما يسمى بدراسات الوسيلة أو القناة؛

2.2 دراسات محتوى وسائل الإعلام: ويعالج هذا المجال البحثي جانبا آخر من جوانب العناصر الاتصالية والمتمثل في عنصر الرسالة، وقد جاء هذا المجال وليد للحاجة الماسة التي فرضتها منهجية علوم الإعلام و الإتصال وتعقيدها، منذ بواكير القرن العشرين، وتحديدًا مع طُغيان الصفة الجماهيرية عبر وسائل الإعلام، و كما يقول Alain Laramèe و Bernard Vallee دائما إن وضوح الرسالة الإعلامية قد لا يكون فوريا و سريعا، ومنه فإن بحوث الرسالة تهدف بالأساس إلى الكشف عن المعاني المضمرّة في النصوص محل التحليل، والتي تخفي كما كبيرا من القيم و المرامي، ويتجه البحث في هذا المجال إلى اتجاهين أساسيين وهما: تحليل المحتوى والتحليل السيميولوجي؛

3.2 الإتصال التنظيمي: حيث يعمل هذا النوع من الإتصال على ضمان تفاعل و ترابط العناصر المكونة للمؤسسة، وقد أثمرت الاجتهادات البحثية في مجال هذا الإتصال نموذجين أساسيين وهما: النموذج الوظيفي والنموذج التفسيري، ويقوم الأول على أن المؤسسة عبارة عن منظومة متناسقة، يعمل الإتصال المؤسسي على الجمع بين الأطراف الفاعلة فيها، بغية تحقيق الأهداف الاستراتيجية للمؤسسة، أما الثاني فيختلف على حد قول Alain Laramèe و Bernard Vallee، حيث يعتمد هذا النموذج على دراسة الطريقة التي يعتمدها الأفراد في إعطاء معاني للعالم المحيط بهم عبر سلوكياتهم الاتصالية.

ورغم تنوع هذه المجالات وتشابكها مع عدة مجالات علمية وبحثية أخرى، إلا أن هناك عدة مشكلات منهجية لا زالت يعاني منها البحث العلمي في علوم الإعلام والاتصال، والتي تؤثر حتما وبشكل أكيد في مدى جودته وتحقيق الغاية منه، ومن أهم هذه المشكلات المنهجية نجد: (ضيف، 2019، 35-38)

4.2 المشكلات المنهجية الخاصة باختيار موضوع البحث: حيث أن في أغلب الحالات لا يستند الباحثون والدارسون في اختيار موضوع البحث في الدراسات الإعلامية والاتصالية، إلى الأسس والقواعد المنهجية المتعارف عليها، والتي تساعد على الضبط الدقيق لعناصر البحث، إلى جانب عدم القدرة على ضبط متغيرات الدراسة بدقة خاصة المتغيرين المستقل والتابع، إلى جانب تجاهل تحديد طبيعة العلاقة بينهما والتي تشكل جوهر المشكلة العلمية؛

5.2 المشكلات المنهجية الخاصة بتصميم إجراءات البحث: إن أكثر أنواع المشكلات التي يواجهها الباحثون هي تلك المرتبطة بتصميم الإجراءات المنهجية الخاصة بالبحث، وأنها قاعدة أساسية تتضح فيها معالم البحث ومساره، ويمكن على ضوءها ضبط خطة البحث وإنجاز جانبه التطبيقي، ويعد بناء الإشكالية وأسلوب صياغتها من أكثر الصعوبات التي يواجهونها؛

6.2 المشكلات المنهجية الخاصة ببناء الإطار النظري للبحث: على الرغم من أن جمع المادة النظرية الخاصة بأي بحث قد

يبدو أمراً سهلاً بالنسبة للكثير من الباحثين، إلا أن هناك بعض المشكلات المنهجية الخاصة بكيفية تبويب وتنظيم

المعلومات والمعطيات النظرية المتحصل عليها، وصياغتها وفق خطة منهجية واضحة تعبر عن المشكلة المدروسة؛

7.2 المشكلات الخاصة بالإجراءات التطبيقية للبحث: تكمل خطوات البحث العلمي بعضها البعض، وإن كانت تبدو

منفصلة فيما بينها من الناحية الشكلية، وهذا ما يجهله بعض الباحثين، لذلك يصادفون صعوبات ترتبط بكيفية

إسقاط المعطيات المنهجية والنظرية في الدراسة التطبيقية، مما يخلق هوة بين عناصر البحث ويجعلها تبدو وكأنها

منفصلة تماماً عن بعضها البعض، لذلك يعد الربط بين أهداف الدراسة وتساؤلاتها وإعداد أداة جمع البيانات، من

أهم الأمور التي يتجاهلها الباحثون، مما يجعل الجانب التطبيقي للدراسة بعيداً كل البعد عن أهدافها، التي من

المفترض أن يكون أحد آليات تحقيقها.

وبشكل عام يجب الإشارة هنا إلى الفجوة القائمة بين المكانة الاجتماعية المتزايدة التي أصبحت تحظى بها وسائط الاتصال

في حياتنا اليومية، والمساحة الضيقة التي تحتلها في ممارسة البحث العلمي في المنطقة العربية، ويزداد الأسف أكثر عندما

ندرك مدى الإجماع في الرأي حول فكرة قصور البحث العلمي في مجال علوم الإعلام والاتصال (خاصة منها البحوث

النقدية)، عن تقديم قيمة علمية مضافة لفهم هذه الوسائط والكشف عن أشكال إدغامها في الحياة اليومية، ومساهمتها

النشيطة في بناء الواقع، وإدراك ما تثيره من رهانات على الصعيد الثقافي والاجتماعي والاتصالي (لعياضي، د ت ن)، ويظهر

هذا القصور في العناصر التالية: (لعياضي، د ت ن)

8.2 في فهم النظرية: لعل المهتمين بعلوم الإعلام والاتصال يدركون اليوم أن دراستها كانت - وما زالت - تشكل نقطة

تشابك بين الكثير من التخصصات في حقل العلوم الاجتماعية، وأن إبيستمولوجية علوم الإعلام والاتصال، تقرّ بأن

دراستها استطاعت أن تعين إشكاليات خاصة بها، وتكيف بهذا القدر أو ذاك مناهج البحث وأدواته مع خصوصيات

إشكالياتها، لكن يبدو الحديث عن ضرورة انفصال علوم الإعلام والاتصال على صعيد الممارسة البحثية، وليس

التدريسية، حديثاً متجاوزاً في ظل تشغيل مجموعة من المفاهيم التي وجدت صداها الإبيستمولوجي في الدرس

الأكاديمي في مجال العلوم الاجتماعية والإنسانية، مثل التناصّ الاجتماعي (Social Intertextuality) الذي يعبر عن وعي

بتشابك الظاهرة الاجتماعية وتداخل التخصصات العلمية لاكتشاف ارتباطاتها وتداعياتها، فالممارسة الإعلامية

والاتصالية هي ظاهرة اجتماعية تزداد تعقداً، بتعدد وتنوع العدة التكنولوجية التي تتوسلها، والتي لا تكف عن التطور

لتعيد النظر في الفهم السائد لجملة من المصطلحات والمفاهيم التي أطرت التفكير فيها؛

9.2 البراديفيمات المتجاوزة: على الرغم من تعقد الظاهرة الاتصالية والإعلامية في المنطقة العربية والعالم، والتي تتطلب

دراستها وفهمها عدة نظريات ومنهجيات متعددة، إلا أن جل عينة البحوث المدروسة انحصرت في إطار الدراسات

الوصفية؛ إذ بلغت نسبة 72.1%، فالوصف الذي يعتبر عتبة البحث العلمي يقلل طموحات الباحث ولا يقدم من

الظاهرة سوى جزء من واجهتها: فهل فهم ظاهرة الصحافة التي وجدت في المنطقة العربية منذ أزيد من قرن وتعيش

مخاضاً كبيراً، اختلف الباحثون في تشخيصه، يمكن أن يتحقق على يد البحوث الوصفية فقط؟ وهل الدراسات

الوصفية كفيلة بالكشف عن الدينامية الثقافية والاجتماعية التي أحدثها البث الإذاعي والتلفزيوني في المنطقة

العربية؟ إذا، إن النقائص التي تعانيها بحوث الإعلام والاتصال في المنطقة العربية، لا تكمن في تبعيتها للنظريات

الغربية أو استعانتها بالنظريات الاجتماعية، بل تدل على عدم استفادتها من النظريات بعامة، والحديثه منها على وجه الخصوص، والتي تهتم بالاتصال باعتباره فعلا اجتماعيا ونتيجة سياق ثقافي؛

10.2 الاستعمال بدل الاستخدام: انتقل مفهوم الاستخدام الذي تبلور في ظل المدرسة الوظيفية، ليصبح مفهوما أساسيا في نظرية البناء الاجتماعي، هذا الانتقال لم يتم ببسر، لقد ظل يعاني عائقا معرفيا يلح على التركيز على أداء أدوات التواصل، مما يعبر ضمنا عن الفهم السائد الذي يرى أن هذا الأداء يكتفي بذاته، وليس نتاج عملية بناء اجتماعي، وهذا لا يمكن تلمسه في بعض بحوث الإعلام والاتصال في المنطقة العربية فقط، بل وجد حتى في الدول ذات التقاليد البحثية العريقة في مجال علوم الإعلام والاتصال، إن صعوبة هذا الانتقال تعود في تقدير البعض إلى التأثير بما أصبح يعرف بالحتمية التكنولوجية التي تغالي في القوة المحيثة للعدة التكنولوجية، وتضخم في قدرتها على تحديد الاستخدام وتوجيهه، وهذا يختصر الاستخدام في الإجراء التقني الذي يتلخص في الخصائص التي تمتاز بها الميديا وتشغيلها فقط.

3. مدخل إلى النقد الإعلامي

وظيفة النقد الإعلامي تختلف كثيرا عن وظيفة النقد العلمي، لكن النقد الإعلامي لا يستطيع أن يؤدي عمله على خير وجه إن لم يركز على النقد العلمي، والناقد الإعلامي الذي لا يأتي على دراسة النقد العلمي يظل دون مستوى فعل النقد، وهذا ما يجب الاعتراف به، صحيح أن النقد الإعلامي هو في الغالب عمل متسرع، لكن الناقد الإعلامي الحصيف يعرف كيف يستخلص العبر والمقومات والخصائص ليعرضها على المتلقي من غير إطالة أو تبجر، مع أنه قد يكون قادرا على التعمق والاستفاضة في أحيان كثيرة، لكن العمل النقدي في الإعلام يفترض شروطه الخاصة بدوره، فهناك قارئ يومي يريد أن يلم بما يصدر من كتب ويريد أن يطلع بسرعة على مضمون كتاب ما، رواية كانت أم ديوانا أم نقدا، فهو لا وقت لديه ليغرق في التحليل والنقد، هذا الأمر رسخته الإعلام المعاصر ليس في العالم العربي فحسب وإنما في العالم الغربي أيضا، وباتت مقولات أربع هي: التبسيط، التكيف، الاختيار والاستخلاص هي أشبه بالشروط أو المقاييس التي يحتكم إليها النقد الإعلامي، وهناك وصف للنقد الإعلامي أوردته (الموسوعة) الفرنسية المعروفة بالانسكلوبيديا: "أن يكون بسيطا واضحا وسهلا، وعليه أن يتحاشى أي تكلف في الفصاحة والتبجر" (حسين، 2010، 38-39)، وعلى أساس هذا الوصف الخاص بالموسوعة الفرنسية يمكن رصد أنواع النقد الإعلامي فيم يلي: (بن نونة، 2018، 133-134)

1.3 النقد الصحفي

هو النقد الذي تتناول فيه صفحات الجرائد والمجلات، ووصف وتحليل وتفسير وتقييم مختلف مضامين الوسائل الصحفية على اختلاف حواملها، الاجتماعية منها والثقافية والاقتصادية والترفيهية... الخ، ويمكن أن نميز نوعين ضمن النقد الصحفي: النقد المصور وهو الذي يتناول عملا إعلاميا بالنقد عن طريق استعمال الصور، سواء كانت صورا فوتوغرافية أو رسما كاريكاتوريا، والنقد المكتوب الذي يعتمد على المادة التحريرية والمصور، وقد ينقسم النقد المكتوب بدوره إلى ثلاثة أصناف: النقد الصحفي الإخباري؛ وهو عادة ما يكتفي بعرض العمل الصحفي دون تحليل معمق، يحاول تفسيره وتقييمه وفق أسس علمية موضوعية، والنقد الصحفي التحليلي؛ وهو النوع الذي يعتمد على تحليل الأعمال الصحفية من خلال المقالات التي تنشر على صفحات المجلات والجرائد، والنقد التنظيري؛ هو عبارة عن تلك المقالات التي

تستند على أسس علمية متينة تستند إلى التحليل المعمق للعمل الصحفي بكل جوانبه وأبعاده، للبحث عن جوانب الضعف فيه، لتقديم الاقتراحات والحلول من شأنها الدفع به نحو الأفضل، ونقد العمل الصحفي المكتوب يركز على دعامتين أساسيتين:

✓ نقد الشكل: وهو النقد الخارجي ونقصه به نقد إخراج الصحيفة بعيون تقيمه، بهدف معرفة ما إذا كان يخضع إلى المقاييس الصحفية والذوق الجمالي؛

✓ نقد المضمون: ويأتي ذلك انطلاقاً من مهارات الناقد الصحفي لفهمه للرسالة الصحفية، انطلاقاً من تحديد الفكرة العامة والموضوع الرئيسي للرسالة الصحفية التي يجزئها إلى أفكار فرعية، ويقوم العمل على أساس الوحدة أم أنه مجرد أفكار متناثرة مشتتة، مرتكزة على استدلالات غير ملائمة مطروحة بلغة صحفية سليمة البناء والدلالة:

2.3 النقد السمي البصري

وهو النقد الذي يمارسه التلفزيون والذي قد يكون نقداً عاماً يتناول نقد وسائل الإعلام الأخرى أو نقداً ذاتياً لتقييم مختلف برامجها، الذي يعكس النضج الإعلامي الكبير المبني على الوعي بأهمية ودور النقد البناء للنهوض بالأعمال التلفزيونية نحو الأمثل؛

3.3 النقد الإذاعي

وهو النقد الذي تقوم به الإذاعة من خلال تخصيص فضاءات تعرض من خلالها آراء نقاد من المجال الأكاديمي أو الإعلامي لنقد أحد الأعمال الإذاعية، كما يتم من خلال هذا النوع عرض آراء الجمهور اتجاه ما تقدمه الإذاعة لاسيما خلال الحصص المباشرة.

وهنا تبرز أهمية الناقد الإعلامي - متى ما جمع التجربة المهنية والتأطير المعرفي - لطرح رؤى نقدية مؤثرة بحكم قربه الصحفي من المعلومات، وطبيعة عمله في إنتاج المعلومة وتوزيعها، مع أهمية أن يستند الناقد إلى خلفية وقدرات علمية تمكنه من استخدام مناهج التحليل وقواعد استخدام المسطرة الإعلامية، فهناك تصورات خاطئة لدى البعض بأن النقد الإعلامي قد لا يقوم على معايير علمية (كلام وسائل إعلام)، أو قد يتذرع الممسك بملف القضية (المنقودة) أن النقد الإعلامي مجرد انطباعات شخصية دون أساس، ولكن عملياً النقد الإعلامي ليس دائماً انطباعياً والنقد الأكاديمي ليس دائماً مبنياً على فرضيات سليمة (الفرم، 2009)، وعلى هذا الأساس يمكن تعريف الناقد الإعلامي على أنه من يمتلك القدرة على المعرفة والتحليل والتقييم والربط، وإصدار الأحكام وإبراز نقاط القوة والضعف في ممارسات النشاط الإعلامي بشكل عام، أو المنتج الإعلامي بشكل خاص، في ظل ظروف الإنتاج الإعلامي وتوقيت العرض ومن النواحي كلها، وذلك عبر إطار وسائل الإعلام، وفي ضوء ما يتمتع به من السمات والخصائص العامة والمتخصصة الواجب توافرها فيه، سواء كان هذا الناقد فرداً أو مؤسسة (الحربي، 2019)، وبناء على هذا التعريف يمكن عد خصائص وشروط الناقد الإعلامي فيما يلي: (سعيد، 2012، 72)

- تحصيل تكوين تأهيلي متخصص، لممارسة نقد التلفزيون والإذاعة وباقي أنواع الفنون الأخرى؛
- تصور هذا النوع من النشاط النقدي كنشاط متكامل وحيوي في المجتمع، بنفس الدرجة التي يتمتع بها أي نشاط إعلامي في المجالات الأخرى؛

- توفر مرجعية فكرية وثقافية تمكن الناقد من الاضطلاع باختياره، وتمكنه من مقارنة العمل التلفزيوني وكذا الإذاعي وباقي أنواع الفنون الأخرى، في كامل الوعي بأبعاده وخلفياته ومرتكزاته الفكرية والثقافية والاجتماعية. هكذا نفهم أن على الناقد الإعلامي ألا يغفل عن المتلقي وألا يتكبر عليه مستعرضا ثقافته ومنهجيته، بل عليه أن يأخذ في الاعتبار أن المتلقي هو الهدف الأول الذي يتجه النقد الإعلامي إليه، فالنقد هنا لا يكون مجرد نقد للنقد، أو فعلا يمارسه الناقد لمنعته الخاصة أو لإشباع نزعته العلمية والتجريبية، طبعاً يجب ألا يغيب الحضور الذاتي للناقد وكذلك ذائقته الخاصة، ولكن يجب ألا تطغى مثل هذه الأمور على العمل النقدي، ففي الإعلام يستحيل أن يتحول النقد فنا قائما بذاته وأن يحل محل الكتابة نفسها، وهذا ما بات يحصل كثيراً في ميدان النقد، هذا على رغم أن "رولان بارت" يصر على وصف الناقد بـ(الكاتب)، معتبراً إياه (شخصية جديدة)، هي في مرتبة خاصة بين الكاتب الذي يؤلف والصحفي الذي يحرر المعلومات في الصحافة، هذه التفاتة مهمة تمنح الناقد حجمه والصحفي حجمه، وكأن الواحد منهما يحتاج إلى الآخر، فالصحفي يوفر المعلومات ويتابع الإصدارات، والناقد ينطلق منها ليبنى أعماله التحليلية (حسين، 2010، 39)، وسواء اتفقنا مع "بارت" أو اختلفنا معه في هذه الجزئية، فإن هناك من ذهب بعيداً وراح يؤسس لمراحل ثابتة للنقد الإعلامي، تساهم في رصد ونقد الأعمال والمضامين الإعلامية المختلفة، مقروءة كانت أو سمعية أو مرئية أو حتى إلكترونية، وفي الأسطر التالية شرح لهذه المراحل: (بن نونة، 2018، 141-143)

4.3 الوصف: تعتبر هذه العملية أساسية للتعريف بالعمل الإعلامي، وهي تتضمن تناول جميع أجزاء العمل المتعلقة أساساً بالجانب الشكلي، وهذا لاستنتاج مدى مطابقة الشكل والمضمون؛

5.3 التحليل: وهو القدرة على الفهم والتعبير عن المعنى المرتبط بشكل أو مضمون الأعمال الإعلامية، وهذه المرحلة تعتمد على المرحلة السابقة للوصول إلى تحديد المعاني الظاهرية، التي تتعلق بقيم ومقومات العمل الإعلامي، وذلك من خلال الاعتماد على الأدلة والحجج المنطقية لتأويل العمل ثم الحكم عليه؛

6.3 التفسير: وهي عملية إيجاد المعنى الشامل للعمل الإعلامي الذي تعرض له الناقد بوصفه وتحليله شكلياً وضمناً، وهنا يمكن أن يستعين الباحث بخبراته ومكتسباته الثقافية، وهذا ما يمكنه من التعرف على القيم والحقائق التي تقف وراء العمل الإعلامي، مما يساهم في عملية جمع البراهين لتحليل وتفسير تلك الأعمال، وبهذا فإن الناقد الإعلامي يساعد الجمهور في نقلهم من وضعية التلقي إلى فهم طبيعة العمل الإعلامي عن طريق لغة تعبيرية مبسطة، فهذه الوظيفة في النقد الإعلامي تسمى "الوظيفة التفسيرية" للنقد، وهذه الوظيفة للنقد ترتبط بوظيفة أخرى وهي "الوظيفة التقديرية"، فالأولى تفسر العمل الإعلامي بالإجابة على السؤال المقدم "ما هو؟" أما الثانية فتحكم عليه بالإجابة على تساؤل "ما قيمته؟"؛

7.3 التقييم: وهو التأكيد عن قيمة العمل الإعلامي من خلال جوانبه الإيجابية والسلبية، أي بالتطرق إلى جوانب القوة والضعف فيه، والتي تساهم في معالجتها لاحقاً من قبل الإعلامي صاحب العمل المنتقد، فهذه المرحلة تساهم بشكل كبير في توجيه الممارسة وزيادة فعاليتها؛

8.3 الحكم: وهو إعطاء قيمة مادية للعمل الإعلامي أو بمعنى آخر مرتبة له مقارنة بأعمال أخرى متشابهة، فهو يركز على أهمية المفاهيم ويرشد إلى معيار التقبل والتفضيل عند الناقد، بصفته النتيجة النهائية والمحصلة لما توصل له الناقد

الإعلامي من خلال الخطوات السابقة، ويختلف النقاد حول المرحلة الأخيرة فمهم يحبذ التصريح به، ومهم من يرتئي أن يندرج ضمنيا في المراحل السابقة.

في المقابل تكتسي الطريقة التي ينهجها الباحث في معالجة المواد والأعمال الإعلامية ونقدها، أهمية كبرى لا تقل مكانة عن الجهد الذي يبذله في قراءة الأعمال وتفسيرها واستنباط النتائج، على افتراض أن سلامة الطريق توصل إلى نتائج سليمة وتختزل الوقت والجهد، ويعد المنهج السيميائي ومنهج تحليل المحتوى والمنهج النفسي من المناهج الحديثة المستخدمة في عملية النقد (عزوز، 2016، 63)، ويمكن شرح هذه المناهج في علاقتها بالنقد الإعلامي فيما يلي: (عزوز، 2016، 65-75)

9.3 المنهج السيميائي

إن المنهج السيميائي يمثل منهجا مهما في تحليل المعاني غير الظاهرة للرسائل الإعلامية، وتحمل القراءة السيميولوجية للنص الإعلامي أسراراً تستفز القارئ لفك رموزه، انطلاقاً من فهم العلاقة الكامنة بين الدال والمدلول، وبين الحاضر والغائب، فتبدأ عملية البحث عن المعنى الغائب انطلاقاً من دراسة الرموز التي تحول اللغة الاصطلاحية إلى لغة ضمنية، وهي العملية التي تحول للنقاد الإعلامي تقييم الرسالة الإعلامية انطلاقاً من تحليلها سيميولوجياً؛

10.3 تحليل المحتوى

بعد أن يقوم الباحث بتوصيف المحتوى الإعلامي كميًا، فإنه يلجأ إلى الوصف الكيفي الذي يعني قراءة الأرقام والإحصائيات، ومحاولة تفسيرها وربطها بطبيعة الوسيلة الإعلامية، ليلبور صورة عن المعالجة الإعلامية للقضية محل الدراسة، والجوانب التي أغفلتها وتلك التي ركزت عليها، وهو ما يعني نقداً للممارسة الإعلامية وتقييمها؛

11.3 المنهج النفسي

يعرف الاتجاه النفسي بأنه ذلك الاتجاه الذي يخضع الإنتاج الإعلامي للبحوث النفسية، مستفيداً من الجوانب النفسية في تفسير بعض القضايا الاجتماعية التي يتناولها الإعلام، والكشف عن أسبابها وأبعادها الممتدة، وتكمن أهمية الاتجاه النفسي في النقد الإعلامي أن هذا الاتجاه ينظر إلى شخصية القائم بالاتصال على أنها غير منحصرة في شخصية محددة، بل تمتزج بعوامل إنسانية ومادية وزمانية، ومن ثم فإنها ترتبط بالإطار الاجتماعي والثقافي والحضاري، ويؤكد المنهج النفسي أن انفعالات الإعلامي تؤثر بشكل أو آخر على إنتاجه الإعلامي، مما يجعل أمر الاهتمام بالظروف النفسية التي يعمل في إطارها الإعلامي أمراً ضرورياً، كما أن تقويم وتنمية مهارات الإعلاميين تمكنهم من النمو والتطور في الأداء الوظيفي، وتحسين علاقتهم النفسية والانفعالية.

4. نماذج لدراسات نقدية لبحوث إعلامية

من بين الدراسات النقدية التي تناولت مضامين إعلامية (صحفية، إذاعية أو تلفزيونية) نجد دراسة وليد عطا أحمد حسين (حسين، 2010)، بعنوان "دراسة مقارنة لقضايا النقد الرياضي في بعض الصحف المصرية"، ولقد لاحظ الباحث من خلال عمله كصحفي بالمجال الرياضي بأن هناك اختلافاً واضحاً في طريقة عرض الأزمات ومعالجة السلبيات التي تواجه الصحافة الرياضية، من خلال أهمية الرياضة في مختلف النواحي الثقافية والاجتماعية والتربوية والفنية والإدارية التي تشكل الاتجاهات لدى الرأي العام، إلا أن الباحث من خلال مؤهلاته في مجال الرياضة وعملة في الصحافة الرياضية، لاحظ أن تركيز الصحف ينصب حول كرة القدم بدرجة كبيرة وإهمالها لباقي الألعاب الأخرى، مما أثار دوافع الباحث

لدراسة وتحليل بعض الصحف، حتى يمكن استخراج نقاط اهتمام الصحف وإهمالها للجوانب الأخرى، وحدد هدف هذه الدراسة في محاولة تحليل الصحف القومية قيد البحث لمحاولة التعرف على تناولها للقضايا التربوية، الفنية، الإدارية في النصف الثاني لعام 2007، حيث استخدم الباحث المنهج المسحي وأداة تحليل المحتوى، وقام الباحث باختيار عينة بالطريقة العمدية من الصحف اليومية الصباحية، من خلال المقالات الأسبوعية (الثابتة) في الصحف التالية: صحيفة الأهرام (خارج دائرة الضوء)، صحيفة أخبار اليوم (لا مؤاخذاً)، صحيفة الجمهورية (بلا تعصب)، وقام الباحث باستعراض تلك الصحف لتحليل مضمون المقالات النقدية في المجال الرياضي، وذلك عن طريق الحصر الشامل للأعداد الأسبوعية لكل صحيفة، كما قام الباحث بإجراء العديد من المقابلات الشخصية مع العاملين والمهتمين بالعمل في مجال الإعلام الرياضي، وكذلك بعض الأكاديميين من كليات التربية الرياضية وكلية الإعلام بجامعة القاهرة وكلية الآداب قسم صحافة جامعة القاهرة، وقد خرجت هذه الدراسة بعدة نتائج أهمها:

- جاءت كل من "القضايا التربوية" و "القضايا الإدارية" في الترتيب الأول، تليها القضايا الفنية، ثم القضايا المقارنة الأخرى، تليها القضايا الثقافية، في حين جاءت القضايا الاجتماعية في الترتيب الأخير.
 - تعددت القضايا المقارنة الأخرى التي تم معالجتها في الصحف عينة البحث، حيث جاءت كل من القضايا التي تناولت "الممارسة الرياضية"، "العنصرية والتعصب" في الترتيب الأول، تليها القضايا التي تناولت "المنشآت الرياضية".
 - تعدد الأشخاص الموجه إليهم النقد في مقالات النقد الرياضي بالصحف عينة البحث، حيث جاء "الجمهور" في الترتيب الأول، ثم "اللاعبين"، ثم "المدرسين"، يليهم "الحكام"، وجاء في الترتيب الأخير "الإعلاميين".
 - تعددت الهيئات الرياضية التي تم توجيه النقد إليها في مقالات النقد الرياضي بالصحف عينة البحث، حيث جاءت "الأندية" في الترتيب الأول، ثم "الاتحادات"، ثم "المجلس القومي"، وجاءت في الترتيب الأخير "اللجنة الأولمبية".
- وإلى جانب الدراسة السابقة نجد دراسة زينب سعيدي (سعيدى، 2012)، بعنوان "النقد الصحفي للدراما التلفزيونية العربية في مجلة الإذاعات العربية"، وانطلقت هذه الدراسة من التساؤل الرئيسي التالي: كيف تناولت مجلة الإذاعات العربية عملية نقد الدراما التلفزيونية العربية؟ واندرج تحت هذا التساؤل الرئيسي، مجموعة من التساؤلات الفرعية الآتية هي:

- ما هي المساحة المخصصة لعملية نقد الدراما التلفزيونية العربية في مجلة الإذاعات العربية؟
 - ما هي طبيعة النقاد القائمين على عملية نقد الدراما التلفزيونية العربية في مجلة الإذاعات العربية، من حيث التخصص؟
 - ما هي أنواع الدراما التلفزيونية العربية المتناولة بالنقد في مجلة الإذاعات العربية؟
 - ما هي مكونات الدراما التلفزيونية العربية المتناولة بالنقد في مجلة الإذاعات العربية؟ ما هي أنواع نقد الدراما التلفزيونية العربية في مجلة الإذاعات العربية؟
 - ما هي طرق نقد الدراما التلفزيونية العربية في مجلة الإذاعات العربية؟
- وتنتهي هذه الدراسة ضمن الدراسات الوصفية التحليلية (أداة تحليل المحتوى)، لأنها تهدف الوصول إلى وصف كامل ودقيق لمضمون النقد، للتعرف على كيفية تناول نقد الدراما التلفزيونية العربية، من خلال المساحة، طبيعة النقاد، أنواع ومكونات الدراما التلفزيونية المتناولة بالنقد، بالإضافة إلى أنواع وطرق نقدها، وتحليل كل ذلك بشكل يفضي إلى نتائج ذات دلالة، حيث تمثل مجتمع الدراسة في الأعداد التي تناولت نقد الدراما التلفزيونية العربية في مجلة الإذاعات العربية، وهي

مجلة أكاديمية فصلية متخصصة في الإعلام العربي، تصدرها كل ثلاثي منظمة اتحاد إذاعات الدول العربية، وقد خرجت هذه الدراسة بعدة نتائج أهمها:

- نقد الدراما التلفزيونية العربية لا يتم بشكل دوري، حيث لم يظهر في جميع سنوات صدور المجلة.
- أظهرت النتائج المتعلقة بالأعداد التي تناولت نقد الدراما التلفزيونية العربية، من خلال المساحة المخصصة فيها لهذا الموضوع، وتمركزه في ركن الملف، اهتمام المجلة به، حيث بلغت نسبة المساحة الكلية المخصصة للنقد، من إجمالي المساحة المخصصة للركنين 69.60%، في حين تمركزت المقالات في ركن ملف العدد، أين وصلت إلى حدود 62.02% و36.66% بالنسبة لركن قراءات، ويرجع ذلك نتيجة الوعي بأهمية هذا الموضوع بالنظر إلى مكانة الدراما التلفزيونية ضمن البرمجة التلفزيونية، والمتابعة الجماهيرية لها.
- تعتمد المجلة في عملية نقد الدراما التلفزيونية العربية على النص التحريري، وهو ما يظهر في النسبة المخصصة له، والتي قدرت بـ 97.15%، من مجموع المساحة الكلية المخصصة للعنوان، الصور، والنص التحريري، وذلك نتيجة طابعها الأكاديمي.
- يرتبط نقد الدراما التلفزيونية العربية بشكل كبير، بأوقات الذروة ضمن البرمجة التلفزيونية وفي المشاهدة التلفزيونية لها، والمتعلقة أساسا بشهر رمضان، حيث أنه يبقى المناسبة الأكثر استقطابا لأقلام النقاد في مجال الإنتاج الدرامي التلفزيوني.
- يعتمد نقد الدراما التلفزيونية في المجلة بشكل أساسي على النقاد من المجال الأكاديمي 68.96% من تخصصات عدة، احتل فيها تخصص الإعلام والاتصال الصدارة (58.52%)، أما نسبة الاعتماد على النقاد في المجال الفني (المخرجين وكتاب السيناريو)، فقد كان اعتماده نسبيا (17.24%)، وذلك يرجع إما لتوجهات المجلة أو لعزوف النقاد عن المتابعة النقدية للإنتاج الدرامي التلفزيوني.
- وإضافة لهاتين الدراستين نجد دراسة ماجد سالم تربان (تربان، 2019)، بعنوان "بحوث الصحافة في فلسطين خلال العقدين الماضيين 2000-2018 دراسة تحليلية تقييمية للجوانب الإجرائية والمنهجية"، وتحددت مشكلة هذه الدراسة في الإجابة عن التساؤل العام وهو: ما واقع بحوث الصحافة في فلسطين خلال العقدين الماضيين، وعليه قامت هذه الدراسة بتحليل بحوث الصحافة في فلسطين سواء أكانت مطبوعة أم إلكترونية، والتي أنتجت خلال العقدين السابقين، وذلك من حيث المناهج الإعلامية المطبقة والأدوات المستخدمة في جمع البيانات، وطبيعة مجتمع الدراسة، والأساليب الإحصائية المستخدمة، والأطر النظرية التي تمثل أساسا لفروض البحث، أو تساؤلاته، وصولا إلى إجابة حول التساؤل الخاص بواقع بحوث الصحافة في فلسطين خلال العقدين السابقين، وحاولت هذه الدراسة تحقيق الأهداف التالية:
- الوقوف على الجوانب الإجرائية والمنهجية في بحوث الصحافة، وتشخيص جوانب الإيجاب والسلب فيها.
- التعرف على المشكلات المنهجية والإجرائية التي تعاني منها الدراسات الإعلامية الصحفية في فلسطين، بهدف وضع تصور لحلول هذه المشكلات.
- حصر الدراسات والبحوث التي أجريت في تخصص الصحافة في فلسطين خلال الفترة الزمنية للدراسة وتوثيقها.
- تقديم رؤية شاملة وأكثر عمقا في مجالي الاهتمام البحثي بالقضايا الموضوعية والمناهج والأدوات البحثية المستخدمة.
- توفير قاعدة معلومات مستمدة من الرصيد البحثي والمعرفي المتراكم بما يتيح إمكانيات تطوير البحث العلمي في مجال الصحافة وزيادة كفاءته مستقبلا بعيدا عن النمطية التقليدية.

- التعرف على القدر المتحقق من الاتساق (أو عدم الاتساق) بين الباحثين في النواحي الإجرائية للبحوث الإعلامية من حيث أساليب اختيار العينات، وآليات جمع البيانات.
- وتنتهي هذه الدراسة إلى حقل الدراسات الوصفية التحليلية الكيفية، وتعتمد في ذلك على منهج المسح بشقيه الوصفي والتحليلي، كما اعتمد الباحث في جمع بيانات الدراسة على استمارة تحليل المضمون، وتحدد مجتمع الدراسة في بحوث الصحافة خلال العقدين الأخيرين على العينة المتاحة في حدود إمكانيات الباحث في ذلك على مسح ما يلي:
- الإنتاج العلمي المنشور في مجلات علمية، ودوريات متخصصة، وفي أوراق بحثية مقدمة إلى مؤتمرات علمية متوفرة على شبكة الإنترنت.
- الدوريات العلمية المحكمة الفلسطينية والعربية.
- رسائل الماجستير والدكتوراه المتخصصة بالجامعات الفلسطينية، وما أمكن الحصول عليه من رسائل لها علاقة بموضوع الدراسة.

وقد خرجت هذه الدراسة بعدة نتائج أهمها أن الأبحاث التي أجريت خلال العقدين الماضيين بلغت 148 بحثا متنوعا بين رسائل ماجستير ودكتوراه لأبحاث ما بعد الدكتوراه، تمثلت في معظمها بأبحاث أجريت بغرض الترقية، ولاحظ الباحث غياب الأبحاث الخاصة بالمؤتمرات العلمية، وذلك لقلّة المشاركة في مؤتمرات خارجية ومتخصصة بالصحافة؛ بسبب الحصار المفروض على محافظات غزة، وأيضا لقلّة الباحثين الحاصلين على درجة الدكتوراه في الصحافة في فلسطين، كما جاءت هذه الأبحاث في الجانب الأكبر منها بغرض الحصول على درجات علمية (ماجستير)، ويعود الفضل في ذلك إلى افتتاح تخصص ماجستير الصحافة في الجامعة الإسلامية، الأمر الذي لقي إقبالا كبيرا طلبة الإعلام، لا سيما في ظل الحصار المفروض على غزة كما أسلفنا.

5. الخاتمة

إن التأسيس لمناهج البحث في علوم الإعلام والاتصال وفر على الباحثين في علوم الإعلام والاتصال عناء عملية الانتقاء، والبحث في مناهج العلوم الاجتماعية والعلوم الأخرى، لإيجاد ما يلانم ويتوافق مع بحوثهم ويأخذ بعين الاعتبار خصوصية الظاهرة الإعلامية. كما أن هذه المناهج جنبتهم الوقوع في الخلط واللبس؛ الذي ينجم عنه أخطاء كبيرة في الإجراءات المنهجية؛ تؤثر بدورها على البحث برمته، ومن هذا المنطلق يجب على الدراسات النقدية في بحوث الإعلام أن تتبع خطوات علمية سليمة في نقد مضمون الإعلام؛ حتى تنجح وتبرر الغاية من وجودها؛ حيث أن الناقد الإعلامي في تناوله للمضامين الإعلامية يجب أن يعتمد على النقد العلمي الرصين حتى ينجح في مهمته، وإلا شاب عمله نقص فادح وتقصير، يجعل من عمله كلاما عاما عابرا وسطحيا لا يعبر عن حقيقة المضمون الإعلامي؛ وفي هذا السياق نذكر وجوب اعتماد الناقد على مناهج علمية سليمة تمكنه من تشخيص مواطن الجودة و مواطن النقص في المضامين الإعلامية المختلفة، وهذا لن يتأتى إلا بضبط عملية النقد بداية من الوصف الجيد وصولا إلى التقييم.

6. المراجع

- ليندة ضيف، ليندة (2019)، المشكلات المنهجية في البحث العلمي في علوم الإعلام والاتصال، مجلة الإعلام والمجتمع، المجلد الثاني، العدد الرابع، جامعة الوادي.
- أوصيف، فريال ورقيبة، أمال (11/2013/11)، البحث العلمي في حقل علوم الإعلام والاتصال، مدونة فضاء أكاديمي، استخرج في 2021/01/29، متاح على الرابط http://academic-space.blogspot.com/2013/11/blog-post_8244.html

- لعياضي، نصر الدين (دون تاريخ نشر)، البحث العلمي في علوم الإعلام والاتصال في المنطقة العربية وغياب الأفق النظري، مركز دراسات الوحدة العربية، استخرج في 2021/01/28، متاح على الرابط <https://caus.org.lb/ar/البحث-العلمي-في-علوم-الإعلام-والإتصال/>
- حسين، وليد عطا أحمد (2010)، دراسة مقارنة لقضايا النقد الرياضي في بعض الصحف المصرية. أطروحة دكتوراه، قسم ألعاب القوى، كلية التربية البدنية للبنين، جامعة بنها، مصر.
- بن نونة، نادية (2018/2017)، العلاقة بين التكوين الإعلامي الأكاديمي وتشكيل الرؤية النقدية لدى طلبة علوم الإعلام والاتصال، أطروحة دكتوراه، قسم علوم الإعلام والاتصال، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم.
- الفرغ، خالد (2009/06/23)، النقد الإعلامي، صحيفة عكاظ، استخرج في 2021/02/06، متاح على الرابط <https://www.okaz.com.sa/article/271453>
- الحربي، عيسى (2019/04/22)، الشيخ: "الناقد الإعلامي" مصطلح عميق لا ينبغي إطلاقه إلا على من يستحق، صحيفة سبق الإلكترونية، استخرج في 2021/02/06، متاح على الرابط <https://sabbq.org/mqndDL>
- سعيدي، زينب (2012/2011)، النقد الصحفي للدراما التلفزيونية العربية في مجلة الإذاعات العربية، قسم علوم الإعلام والاتصال، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر بسكرة.
- عزوز، هند (2016/2015)، محاضرات في النقد الإعلامي، قسم الإعلام والاتصال، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد الصديق بن يحيى، جيجل.
- تريان، ماجد سالم (2019)، بحوث الصحافة في فلسطين خلال العقدين الماضيين 2000-2018 دراسة تحليلية تقييمية للجوانب الإجرائية والمنهجية، مجلة جامعة الأقصى للعلوم الإنسانية، المجلد 23، العدد الأول، جامعة الأقصى، فلسطين.